[Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات]

Volume 23 | Issue 1 Article 11

2022

The novel "Drew a Line in the Sand" for Hani Alrrahib between self-flagellation and Condemnation of the Other Reading a Model in the Political Novel

Mohammad Al-Shawabkeh
MohammadAl-Shawabkeh@yahoo.com

Ahmad Al-Kharsha
AhmadAl-Kharsha@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arts and Humanities Commons, and the Social and Behavioral Sciences Commons

Recommended Citation
Al-Shawabkeh, Mohammad and Al-Kharsha, Ahmad (2022) "The novel "Drew a Line in the Sand" for Hani Alrrahib between self-flagellation and Condemnation of the Other Reading a Model in the Political Novel," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 23: Iss. 1, Article 11.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/11

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مجلة جرش للبحوث والدراسات المجلد 23 العدد 1، 2022، ص ص 285- 310

رواية "رسمتُ خطّاً في الرِّمال" لهاني الرَّاهب بين جلد الذَّات وإدانة الآخر
قراءة في نموذج من الرِّواية السِّياسيَّة

محمد علي الشّوابكة* وأحمد غالب الخرشـــة**

تاريخ الاستلام 2020/8/11 تاريخ القبول 2020/10/26

ملخص

يُقدّم هذا البحث قراءةً في رواية السّوريّ هاني الرّاهب "رسمتُ خطّاً في الرِّمال"، قراءة تُسلّط الضّوء على مسألتين انشغل بهما السّرد العربيّ المعاصر إلى حدٍّ لافتٍ: الأولى إشكاليّة النّفط وتأثيره، وجلد الذّات من خلاله، والثّانية اللقاء الحضاريّ بالغرب على وجه التّحديد، وقد عوّل الكاتب على إدانة الحياة العربيّة المعاصرة، منطلقاً أحياناً من استدراج الماضي، وصاباً جامّ غضبه على المُمارسات الإنسانيّة في دول النّفط على نحوٍ استفزازيّ، مُعرّياً قصور الإنسان العربيّ مواطناً وحاكماً عن استيعاب مفردات التّكنولوجيا الحديثة وما يرتبط بها من قيمٍ وأُسسٍ معرفيّة، وفي المسألة الثّانية تُدين الرّواية المسالك الغربيّة وسعيها إلى تفتيت المنطقة العربيّة وخَلْق دُويلات هشّة ليست بالقادرة على الدّفاع عن نفسها بمقدار قدرتها على تغييب شعوبها خدمةً لمصالحها الخاصّة، ومصالح الغربيين، ويُسجّل على تصوير هاتين الثّيمتين الميلُ إلى التّقريريّة والمباشرة.

الكلمات المفتاحية: الرِّواية، الرّاهب، جلد الذّات، إدانة الآخر.

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2022.

* أستاذ، قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة، الأردن.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة، الأردن.

The novel "Drew a Line in the Sand" for Hani Alrrahib between self-flagellation and Condemnation of the Other
Reading a Model in the Political Novel

Mohammad Al-Shawabkeh, *Prof., Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences, International University of Islamic Sciences, Jordan.*

Ahmad Al-Kharsha, *Associate Professor, Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences, International University of Islamic Sciences, Jordan.*

Abstract

This study presents a reading in the novel “Drew a Line in the Sand”, written by the Syrian novelist Hani Al-Rrahib, a reading on two topics forming an outstanding theme in modern Arabic narration. The first deals with the impact of “Oil” in Arab life, focusing on the negative effects of Modernism. The second sheds light on the new imperialism which tries to divide the Arab world into weak and unstable states. It condemns Western behavior toward Arab nations regarding the benefit of Israel. All of this is introduced in a direct way.

Keywords: The novel, Al-Rrahib, Self-flagellation, Condemn of the other.

المقدمة

إنَّ النَّاظر في الخطاب الرِّوائيّ العربيّ يجد أنَّ الجدليَّة الثّنائيَّة بين الشَّرق والغرب أو بين الأنا والآخر – كما تسمّيها بعض الدِّراسات النَّقديَّة - ألقت بظلالها على عددٍ كبيرٍ من الرِّوائيين العرب، وشكَّلت ثيمةً محوريَّةً يقصدها هؤلاء الرِّوائيون بغيةَ الكشف عن قبولهم للآخر والإعجاب به، أو رفضه رفضاً تامّاً وإدانة سياساته، أو الوقوف منه موقفاً توفيقياً، ومن المؤكَّد أنَّ ظهور النَّفط في الخليج العربيّ كان له دورٌ واضحٌ في تحديد طبيعة هذه العلاقة، وهذا ما يلمسه القارئ في رواية "رسمتُ خطّاً في الرِّمال" لهاني الرَّاهب التي اتّخذت من النَّفط محوراً رئيساً لتصوير الواقع السّياسيّ والاجتماعيّ في العالم العربيّ، وإصرار الغرب على التّدخّل في شؤون العرب الدَّاخليّة بذريعة حمايتهم من أيِّ خطرٍ يهدّدهم، "فالرِّوائيّ يحتاج، ضمن ما يحتاج إليه من مُقوّمات السَّرد إلى أن يختار الزَّاوية التي يتخذها لسرد الأحداث وحكيها"(1).

وعلى الرّغم من أنَّ هذه الرِّواية تتسم بسماتٍ تجعلها ميداناً خصباً لكثيرٍ من الدّراسات؛ لاستيعابها تقنيات التَّجريب السَّرديّ، والحداثيّ، والبُعد الفانتازيّ، وإفادتها من التّراث السّرديّ

العربيّ كـ"المقامات"، و"ألف ليلة وليلة"، فضلاً عن اكتظاظها بالمفردات السّياسيّة، والتّاريخيّة، والدّينيّة، والاجتماعيّة، والأساليب اللغويّة والبنائيّة، إلا أنّها لم تحظَ – في حدود اطلاعنا - بأيِّ دراسةٍ متكاملةٍ جادّةٍ باستثناء دراسةٍ مُوجزةٍ لفاروق مغربي، وديالا دندة موسومة بـ (من مُكوِّنات الخطاب الرِّوائيّ في رواية "رسمتُ خطّاً في الرِّمال" للرِّوائيّ هاني الرّاهب: الرّاوي، والمرويّ، والمرويّ له)، ومن هنا جاء هذا البحثُ ليلقيَ الضّوء على مفاصلَ بارزةٍ في هذه الرِّواية تتعلّق بالمحاور المركزيّة التي انبنت عليها كالعلاقة مع الغرب، والنِّفط وتأثيره في الحياة العربيّة المعاصرة، فرواية هاني الرّاهب "رسمتُ خطّاً في الرِّمال" ترتبط بسياق الرِّواية العربيّة المعاصرة بغيرِ رابطٍ، وتعالج موضوعاً أثيراً ومحورياً في فصولها العشرة التي اتّخذت من ظهور النِّفط في بلاد العرب نقطةً انطلق منها الرّاهب لسرد أحداث روايته وتصوير المشهد السّياسيّ العربيّ، والصّراع مع الغرب.

وجاء هذا البحث في تمهيدٍ ومبحثين، تناول المبحث الأوّل جلد الذّات ونقد الواقع العربيّ، في حين تناول المبحث الثّاني إدانة النّظام الغربيّ في تعامله مع الآخرين ولا سيما العرب، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الرّاهب قدّم هاتين القضيتين ببنيةٍ سرديّةٍ ظهرت فيها العديد من التّقنيات الفنيّة والجماليّة، إلا أنّ البحث انطلق من هاتين القضيتين، آخذا بعين الاعتبار الإفادة من المنهجين الدّاخليّ المُحايث والخارجيّ، أمّا المسائل الفنيّة فقد أقصاها؛ لأنّ بعضها دُرِسَ، والآخر يُدرس مُستقلاً، وسيُكتفى بالإشارة إليها.

وتجبُ الإشارة هنا إلى أنّ الأفكار والآراء التي تضمّنتها الرّواية تعبّر عن وجهةِ نظرِ كاتبها، فحسب، ولا تمثّل وجهة نظر الباحثين اللذين يؤكّدان أنّ الدّول العربيّة استطاعت الإفادة من الثّروة النّفطيّة في إحداث تقدّمٍ واضحٍ في المجالات الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والثّقافيّة.

التّمهيد:

لقد حظيت "جدليّة الأنا والآخر" بعناية الباحثين، وهي ثيمةٌ حضرت في سلسلةٍ طويلةٍ من الأعمال في السّرد العربيّ الذي بزغت بواكيره منذ انطلاق حركة النّهضة الحديثة، ويمكن أن يُذكر في هذا السّياق أعمال الطّهطاوي، وعلي مبارك، وتوفيق الحكيم، وطه حسين، وفيما بعد نطّلع على أعمال سهيل إدريس، ويوسف إدريس، والطّيب صالح، وعلاء الدّين الأسوانيّ, وغيرها، ومعظمها نال حظّه من الدّرس(2).

تقع رواية هاني الرّاهب من حيث مقولتها المركزيّة الأخرى (النّفط) ضمن عددٍ من الرّوايات العربيّة التي أولت هذا الموضوع عنايةً كبيرةً؛ إذ حظيت مسألة الطّفرة الاقتصاديّة النّاجمة عن تدفّق الثّروة النّفطيّة باهتمام بعض الأعمال الرِّوائيّة، ولعلّ أوّل عملٍ جعل النّفط همّه الرّئيس وكشف عن آثاره الإيجابيّة والسّلبيّة بطريقةٍ تتسم بالمباشرة وتبنّي السّرد التّقليديّ هو" شمروخ"

لمحمود تيمور[3]، ثمّ جاءت محاولة الرّوائيّ السّوريّ وليد حجّار في "السّقوط إلى أعلى"، وهي جزءٌ من ثلاثيّةٍ وسمها الكاتب بـ"ثلاثيّة البحث عن الأنا"، أمّا العمل الأضخم الذي أرّخ، فيما نعلم، للحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة في الجزيرة العربيّة فهو خماسيّة "مدن الملح" لعبد الرّحمن منيف، وثمّة محاولاتٌ أخرى كرواية محمد جميعان" قدحُ من نفط، ثمّ جاءت رواية الرّاهب "رسمتُ خطّاً في الرّمال" لتوفّر رؤيةً جديدةً إلى حدٍ ما[4].

أمّا البناء الفنّيّ من حيث تداخل الأبنيّة السّرديّة وامتزاج الحاضر بالماضيّ، وتبنّي الفانتازيا، فلا تُعدُ رواية الرّاهب فتحاً في هذا الباب؛ بل تندرج ضمن كثيرٍ من الرّوايات العربيّة كرواية سالم حميش "فتنة الرّؤوس والسّلطان"، وواسيني الأعرج "المخطوطة الشّرقيّة"، ومؤنس الرّزاز "متاهة الأعراب في ناطحات السّراب"، وأبي بكر العياديّ "آخر الرّعيّة"، وغازي القصيبيّ "العصفوريّة"، وفاضل العزّاويّ "الأسلاف"، وعبد الجبار العشّ "وقائع المدينة الغريبة"، وعبد السّتّار ناصر "أبو الرّيش"، وحيدر حيدر "وليمة لأعشاب البحر"، ونبيل سليمان "الشّقائق"، وإسماعيل فهد إسماعيل "الكائن الظلّ".... وغيرها، وقد وقّعت معظم هذه الأعمال على البُعد السّياسيّ توقيعاً لافتاً.

إنّ انهماك الرّاهب في البعد السّياسيّ الذي يتوزّع خلال البنيات السّرديّة يكاد، على الرّغم من مباشرته، يقدّم مقولاتٍ كاشفةً ومكشوفةً في الآن نفسه، فهو يحفر في أعماق التّاريخ لجلاء الواقع وتعريته من خلال الماضي الذي يُطلق عليه الواقع الافتراضيّ، على حدّ تعبير صلاح فضل في سياق تعليقه على رواية إسماعيل فهد إسماعيل "الكائن الظل"، إذ يقول: "وقد قدّم إسماعيل فهد إسماعيل نموذجاً لافتاً يقترب ممّا يُسمّى اليوم بالواقع الافتراضيّ عبر روايته (المذكورة)، حيث يشرح الرّاوي - وهو باحث في التّراث الشّعبيّ - مشروعه لنيل درجة الدكتوراه عن المُهمَّشين في المجتمع، والنّتيجة التي ينتهي إليها أنّ أيّاً من اللصوص الوارد ذكرهم في الرّسالة لم يكتسب شرعيّة خلوده في كتب التّاريخ والملاحم والسِّير الشّعبية المتداولة إلاّ إذا اشتهر بمقارعة لا تلين للحكّام والخاصّة..."[5].

والمُحدِّق في عمل الرّاهب يرى أنّه استلهم تقنيات السّرد القديم، واستطاع باقتدارٍ أن يستلهم الليالي العربيّة بتقنيات الرّاوي، تماماً كما عوّل على رواة المقامات والنّصوص المقدّسة لتسعفَه في كشف الحاضر العربيّ المُتشرذِم، وهي مسألةُ عدّها كثيرون من سمات التّجريب، وخطوةً جريئةً للخروج من دائرة السّرد الطّوليّ التّقليديّ التّمجيديّ، وقد ألمح دارسٌ لرواية "الكائن الظّل" بما لا يبتعد عن حداثة "رسمتُ خطّاً في الرّمال"، إلى أنّ الرّوائيين العرب سعوا إلى استكشاف أساليب روائيّة جديدة تحقّق عروبة الرّواية العربيّة، وتستند إلى مخزون السّرد الشّفاهيّ والحوليّات التّاريخيّة العربيّة، وقد أثمر هذا السّعي مجموعة من الأعمال الرّوائيّة مثل... "مجنون الحكم" لبنسالم حميش...[6]

ويبدو أنَّ رواية الرّاهب كرّست مكوّناتها للكشف عن الأبعاد الاجتماعيّة والسّياسيّة للعالم الغربيّ[7]، وتلك مسألةٌ نراها بجلاء في رواية "بلد واحد هو العالم"، ورواية "المهزمون" للرّاهب نفسه الذي انشغل فيهما بالأيديولوجيا المفقودة التي نأت بنفسها عن التّأثير الملموس على الأجيال، وفي هذه الثّيمة يعلّق حسام الدّين الخطيب على الرّواية مستنبطاً: "ويبدو أنَّ المشكلة الفكريّة هي الأولى في رواية "المهزمون"، ذلك أنَّ أهم ما يفتقر إليه الجيل الجديد هو "أيديولوجية" متطوّرة قادرة على تفسير الحياة وتحريك طاقات الشّباب بالاتجاه المناسب. إنَّ الجيل الجديد لا يشعر بوجود مثل هذه الأيديولوجية، وفيما نستنتج من الرّواية لا توجد أمام الجيل الجديد سوى الفكرة الدّينيّة التي أصبحت عتيقة في رأي الكاتب، واستحالت (رموزاً وطقوساً وعاداتٍ زائفةً مُفرغةً من معناها)، بل استحالت تقاليدَ جامدةً مُعيقةً لركب التّطور الإنسانيّ وإلى قيود آسرة تسوّغ الظّلم الذي يقع على النّفس الإنسانيّة"[8].

وحتّى لا يبقى الحديث عن الرّاهب وروايته أفكاراً مجرّدةً ننتقل آلان إلى المبحثين الرّئيسين اللذين يقوم عليهما البحث، وهما: جلد الذّات، وإدانة الآخر في هذه الرّواية موضع الدّراسة.

المبحث الأوّل: جلد الذّات

تغصُّ رواية الرّاهب "رسمتُ خطّاً في الرّمال" بكثيرٍ من مفردات التّراث العربيّ الإسلاميّ من أسماء شخصيات، وأماكن، وأحداث تاريخيّة، ونصوص تراثيّة، فضلاً عن الاتكاء على أنماط السّرد التّقليديّ مستثمراً رواة المقامات والليالي العربيّة ونهج السّرد الإخباري، بشكل يمتزج فيه الواقعيّ بالفانتازيّ، والحاضر بالماضي؛ ممّا يجعلنا نطلق على كلّ ذلك "التّناص البنائيّ" أو "تداخل الأجناس"؛ إذْ تتداخل البنى السّرديّة القديمة بالمعاصرة، ويوظّف الكاتب كثيراً من مفردات التّراث، مُحلّلاً ومنتقداً لها وساخراً منها من ناحيةٍ، ومفيداً منها في بعث نماذج إنسانيّة تعيش الحاضر، وتكوّن قناعاً يختبئ خلفه في نقد الواقع وتعريته من ناحيةٍ أخرى؛ فقد استحضر شخصيات أبي بكر الصّديق، وعمر بن الخطّاب، والحسين بن علي، وعبدالله بن الزّبير، والحجّاج، كما تكفّل رواة التّراث السّرديّ كعيسى بن هشام، وأبي الفتح الإسكندريّ، وشهرزاد، وشهريار، وغيرهم بالسّرد نيابةً عن الكاتب، وانتقل بهم من فضائهم الزّمانيّ والمكانيّ إلى فضاءات القرن العشرين للتّعبير عن ثيمته المركزيّة التي شكّلت له هاجساً منذ الاستهلال السّرديّ وحتّى النّهايات، وهي إشكاليّة الحياة العربيّة في ظلِّ اكتشاف النّفط من الزوايا السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة المعاصرة من خلال الولوج إلى أعماق حياة المدينة العربيّة النّفطيّة التي راوغ الكاتب في الإفصاح عنها بتسمياتٍ ساخرةٍ؛ كأن يسمّي بعضها نُفيطيّة "س"، أو "أ"، أو "ك"، وأحياناً يلجأ إلى صيغة السّؤال بكلِّ ما يحمله من دلالاتٍ لإطلاقه على هذه المدن: فنقرأ عن مدينة "ماذا"، ومدينة "كيف"، ومدينة "متى". ولعلّه يلجأ إلى هذا الأسلوب ليس لغايات التّمويه، وإنّما ليشكّك في

حقيقية هذه المدن وثباتها بعدَ زوال مُسبِّبات بنائها، وكأنّه يُبشّر بانهيار هذه المدن، رغم عدم اتفاقنا مع هذا الرّأي. ويستثمر الرّاهب بنْية هذه المدن لنقد مفردات الحياة كافّة، وهو أمرٌ يبعث على التّساؤل والاستغراب- كما سنرى- إذْ لم يُبقِ الكاتبُ مظهراً من مظاهر الحياة العربيّة إلاّ وانتقده إلى درجة الإطاحة بكلِّ المُنجزات التي تحقّقت بعدَ تدفّق الثّروة النّفطيّة؛ مما يجعل معالجته عُرْضةً للتّساؤل وإعادة التّقييم، وبقطع النَّظر عمّا تعرضه الرّواية من سلبيّات حقيقيّة في الحياة العربيّة المعاصرة، فإنّ النّفط أسهم في نموِّ بلدانه وتجاوزها إلى نموِّ العالم العربيّ، زيادة على بعض الدّول الفقيرة؛ مما يجعلنا نؤكّد أنّ قراءته للواقع العربيّ النّفطيّ تبدو قاصرة، وتفتقر إلى الموضوعيّة، وتسيطر عليها الماسوشيّة وجلد الذّات. إنّ القارئ معنيٌّ بالضّرورة في رؤية عورات الحياة العربيّة بمقدار ما هو معنيّ بالارتياح إلى منجزاته؛ لأنّ الحياة لا يمكن أن تكون سوداء أو بيضاء، سلبيّةً أو إيجابيّةً، إنّها كلٌّ مركّبٌ من ألوان وأطياف، وأفكار ورغبات، ووجهات نظرٍ تتفارق وتتلاقى، فضلاً عن تعرضّها إلى التّدخلات الأجنبيّة وغياب الوعي الذّاتيّ والتخلّف الذي ترتّب، بالضرورة، على الشّروط الموضوعيّة التي عاشتها الأمّة منذ قرنين من الزّمن سبقا الرّواية. ومهما يكن فإنّ القارئ مُلزمٌ بتتبّع وحدات الخطاب السّرديّ كبراها وصغراها، وعرض ما رغب الكاتب في أن يقدّمه إلى متلقيه الذي ينبغي أنْ يشكّل رؤيته الكليّة للعمل الفنّيّ.

ولعلّه ليس من باب المبالغة القول إنّ الرّاهب اختار عنوان الرّواية على النّحو الذي رأيناه؛ ليشي بتفكّك هذه الدّول التي رُسِمت على حبّات الرّمل، فضلاً عن تبعيتها لصانعها من جهةٍ، وصعوبة متابعة الحياة والتّصدي للتّحديات المعاصرة من جهةٍ أخرى، كما تقصّد الرّاهب تشظية البناء السّرديّ، والتّعويل على التّداخل والكلام المستهلك الذي يصل أحياناً إلى درجة الإملال؛ ليكشفَ عن تشظّي أبنية الحياة العربيّة المعاصرة. نقول ذلك لأنّ هاني الرّاهب مسبوقٌ بروايات الفانتازيا وغيرها من الرّوايات التي جعلت النّفط مقولتها الكبرى. وتُثبت القراءة الأولى أنّه على الرّغم من تشظّي المعمار، وتداخل الأحداث، وتناوب الأدوار بين الشّخصيات، وقلب الدّلالات لبعضها، إلا أنّ الأيديولوجيا تطفح على سطح الخطاب؛ ممّا يسمح بالوعظيّة وسيطرة النّبرة الخطابيّة والمباشرة، وإنْ توسّل الكاتب، كما أسلفنا، بالتّشظي وبعض تقنيات تيار الوعي لتقديم أيدلوجيّته.

لقد صوّرت الرّواية الحياة العربيّة سوداءَ موحشةً، غارقةً في سُباتٍ عميق، مُوغلةً في التخلّف والنّفاق ومصادرة الحريات، وتغييب العقل والإرادة الصّلبة والقدرة على اتخاذ القرار، فضلاً عن طغيان الادعاء والزّيف والكذب على النّاس وعلى الله، سواء أكان ذلك من الحكّام أم من بعض المحكومين، وعدّت الرّواية ظهور النّفط حدثاً تاريخيّاً مفاجئاً هائلاً لا يُضارعه في الأهمية إلا ظهور الدّيانات الكبرى، أو اكتشاف أمريكا، أو اختراع الأبجديّة، بيدَ أنّه لم يزد العرب إلاّ

انحطاطاً، ووحشيّةً مُقنّعةً، وجشعاً، وفُحْشاً[9]، وهنا يرى الباحثانِ أنّ الرّواية بالغت - إلى حدٍّ كبيرٍ - في هذا الوصف، وأغفلت ما حقّقه النّفط من تقدّمٍ في مجالات الحياة كافّة.

ومن الملاحظ أنّ الرِّواية تؤكّد أنّ العربيّ أو الحاكم الأعرابيّ قفز من أعماق التّاريخ إلى القرن العشرين حاملاً قيمه وعاداته وتقاليده على نحوٍ لا يمكن فيه الفصل بين بنية التّفكير العربيّ العتيق ولحظة الحاضر، فعلى الرّغم من تدفّق النّفط، فإنّ العربيّ ظلّ أسير المفردات السّلبية من ماضيه، فهو غيرُ قادرٍ على التّفاعل مع الحاضر الذي قُدّم إليه مُنجزاً، فجعله مُنبهراً أمام هذا المنجز الحضاريّ الغربيّ، ووقف عاجزاً عن امتلاك قراره، وظلّ مُستلَب الإرادة، رهناً للآخرين، وكما تقول إحدى شخصيات الرِّواية د. ربيع أحمد: "نحن شعبٌ أنشأه الإنجليز... بضعة آلاف تلملموا من عشائر الصّحراء. رسم الإنجليزي خطّاً بقلم رصاص. وقال: كونوا نُفيطيّة جيم. يتكلّم المثقّفون عن صدمة الحداثة، وأنا أتكلّم عن صدمة القِدم: عن بدوٍ زادهم النّفط بداوة"[10]، وقد جلب تدفّق النّفط معه الدّولار، ولكنّه حوّل العالم العربيّ إلى أسواقٍ استهلاكيّة تبتلع كلّ شيءٍ من العناصر التّكنولوجيّة إلى المواد الغذائيّة، وهذا يشي بأنّ مجتمع الرّواية يعيش على هامش الصّناعة والتّكنولوجيا، لقد عُمِّمَ الاستهلاك الغربيّ واحتُقِر نموذج الاستهلاك المحلّي؛ ممّا جعل المجتمع يفقد سيطرته على نفسه وهُمِّشت أغلبيته "عقليًا وسياسيًا"[11].

ولعلّنا نجد تشابهاً صارخاً بين الرّؤيا التي يقدّمها الرّاهب وما نقرأه عند أدونيس في مقامٍ مختلفٍ عندما يقول إنّ العرب "يحيون خارج الممارسة الحيّة للكشوف العلميّة وتطبيقاتها التّكنولوجيّة التي يحققّها العقل الإنسانيّ الحديث، وهكذا تعكس هذه الأشكال الماديّة من التقدُّم دلائلَ تخلُّفٍ أكثر عمقاً؛ ذلك أنّها استهلاكٌ محضٌ في حركة من التّقليد المحض"[12]، دون أن يعني ذلك أنّ الرّاهب يرفض التّقدم العلميّ، وتجدر الإشارة إلى أنّ التّغيّر كان سريعاً لم يستطع العقل استيعابه، ويكفي أن نشير إلى أنّ المرء يصبح مُتحكّماً في شؤون الخلق لمجرد أنّه استقام فوق (مصطبة) إسمنتية، يتفقّد أوراق الدّاخلين والخارجين، ويصدر الأحكام بالدّخول أو الخروج، كما سنرى، إنّ سرعة التّغيّر غيّبت البناء السّياسيّ الواعي، واتّجهت إلى تكديس مفردات التّكنولوجيا بدلاً من بناء المجتمع[13].

وبشكلٍ يمتزج فيه الحاضر بالماضي، وعلى نحوٍ مُفعمٍ بالسّخرية المرّة المباشرة المتوسّلة بالعجائبيّ، تأتي شهرزاد - التي حكت ألف ليلة وليلة لشهريار لتحول بينه وبين شهوة القتل ولتسلمَهُ إلى شهوة الحياة- لترويَ لنا أنّه غرق في سباتٍ عميق، مئات السّنين، وحاولت إيقاظه، وطافت به الأضرحة والمقامات والمزارات، ثمّ حملته إلى الحرمين الشّريفين، وقالت: "إذا لم توقظه الكعبة ومرقد النّبي، فلن توقظَه كرامةُ ولا شفاعةُ... أمضيتَ أيضاً مئة عامٍ ترتحل بين الحجاز، ومصر، والشّام"[14]، علمت شهرزاد أنّ العصر الذي تعيش فيه هو القرن العشرين، وأنّه العصر الأجنبيّ، وفيه يستيقظ شهريار ليخبرنا أنّه غاب في جوف الأرض مع نفرٍ مُؤمنٍ من عفاريت

الجن، وهناك يرى كتاباً أنزله الله في جوف الرّمال، يقول: "ورأيتُ أمواجه السُّود تتلاطم وتميد؛ لأنَّه بحارٌ تتصل ببحار، وبريقها يئجُّ فيخطف الأبصار، ورأيتُ النُّور يسطع من وجوه إخوتي العفاريت، وقرأتُ فيه أنَّ هذا النَّفط سينتشل أمَّة الإسلام من دياجير الظَّلام، وسمعتُ المنادي ينادي: انهضْ يا شهريار، إنّ أمّتك تعيش بانتظار أن تنشئ حضارة بالبترودولار"[15]، ومن هنا فإنَّه يسعى لأن يصبح خليفةً في الصَّحراء العربيَّة، ولكنّه يواجه بعصرٍ لا خليفةً واحداً فيه، عصرٍ كَثُرَ فيه الخلفاء، وبدلاً من الإصرار على المطالبة بالخلافة يزور شهريار قصر الحاكم ليصبحَ بعد ذلك أميراً للبصّاصين والمطوّعين ويتربّع على عرشٍ من الأجهزة التي تُدار بأزرار الكهرباء، ويعترف بفضل الميجر فكس وقومه الذين لولاهم لما نَعِمَ بالتّكنولوجيا والنّفط[16].

استطاع شهريار أن يستيقظ من سُباته العميق لينعمَ بأحدث ما أنتجه العقل البشريّ، خرج تواً من أعماق التّاريخ ليُعالج بتحليلات فرويد! فهل استوعب العربيّ الحضارة الغازيّة أم أنَّه ظلَّ يقبع على تخومها؟ ومُثْلُ شهريار الحاكم الأعرابيّ- كما يحلو للرّواية أن تسمّيَه- الذي خرج فجأةً من التّاريخ وأطبقَ كتاب الله وفتح كتاب النَّفط، وأدار ظهره للقرن السَّابع ومضى نحو القرن العشرين، فهو – كما يقول النَّصّ: "يثبُ عن ظهر الهجين، ويجلس وراء مقعد الليموزين، عيناه تقرّان بصفوف المطوّعين، وأسراب العذارى، وهو وحده لديه التّكنولوجيا والحرسلوجيا"[17]، وللدّلالة على الطَّفرة التي أوجدها النَّفط تتناص الرّواية مع القرآن الكريم؛ فتصوّر سرعة انتقال العربيّ من حالة البداوة والبدائيَّة إلى العصر الحديث، بسرعة خلق السّموات والأرض والاستواء على العرش، ويسمو النّفط بآثاره إلى مرتبة الإله القادر على النّهوض بالنَّاس من عصرٍ إلى آخر وبعث الأموات، فضلاً عمّا يحمله ذلك من عبادةٍ للدّولار! ويشخّص الدكتور – أحد شخوص الرِّواية - الذي عمل أستاذاً زائراً في إحدى الدّول العربيّة (ولعلّه الرّاهب نفسه) ما يواجهه المسافر إلى هذه الدّول من عناء، ولعلّنا نضطرُ إلى اقتباسٍ طويلٍ يكشف هذه القفزة الاقتصاديَّة، وعجز الإنسان العربيّ عن التكيّف معها، يقول الدكتور في سرعة التّغيّر وغياب مواكبة البدويّ لما حدث بشكلٍ يسمو فيه بالنّفط وتأثيره في الحياة إلى مستوى الخالق: "مُفتِّش الجمارك. حارس المكس. أمضى قروناً وهو يفترش الرِّمال، يمشي على الرِّمال، يأكلُ ويقاتلُ ويضاجعُ ويبولُ... على الرِّمال. فوقه السَّماء الرّماديَّة وجحافل النّجوم وجحافل الغبار. وذات ضحىٍ قال له وجهُ مضفورٌ: "تعال كُنْ حارساً للمكس"، فكان. خلال ستة أيامٍ علّموه ما يكفي من الإنكليزية لتفتيش التّأشيرات والحقائب، وفي اليوم السَّابع استوى على منصةٍ إسمنتيّة وصار ربَّ الحدود. علّموه أن يعبأ بالتّفاصيل. إنَّه متأطّرٌ داخل لباسه الرّسميّ. عيناه الباردتان الحانقتان تزدريان الخليط النَّافر من تفاصيل الوجوه ومحتويات الحقائب.. كلّها ريبة واحتمالات شرّ وعهر. إنّه ينظر إليها بازدراء هو ربّ الحدود. لو كان في هؤلاء النّاس كرامةٌ لما أقبلت من أقاصي المعمورة لتخدمه بعلمها، ولحم عقولها، وأثدائها"[18]. إنّ التّعويل على هذه الأساليب من حيث التّناص، والاتّكاء على

الفانتازيا في تصوير الطَّفرة النَّفطيّة وأثرها في تشكيل الحياة الجديدة، ليس جديداً في الرّواية العربيّة، فقد صُوِّر كلُّ ذلك في خماسيّة "مدن الملح" لمنيف وغيرها من الأعمال، وقد لجأ الرّوائيّ السّوريّ وليد حجّار في روايته "السّقوط إلى أعلى" إلى المباشرة عينها التي لجأ إليها الرّاهب، فقد صرخ السّارد بأنّ هلالاً – أحد شخوص الرّواية - لم يرتكب خطيئةً إلاّ أنّه سافر من القرون الوسطى إلى القرن العشرين بطائرةٍ خاصّة![19].

وعلى الرّغم من تدفّق النّفط، وتدفّق الدّولارات بآلاف المليارات، فإنّ الرّواية ترى – خلافاً لوجهة نظر الباحثين - أنّ المجتمع العربيّ غيرَ قادرٍ على توظيف هذه الثّروة في تغيير البنى الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة، فضلاً عن عدم قدرته على تسخير النّفط في إنشاء بنىً تحتيّةٍ صلبةٍ لا تذوب بذوبان النَّفط، أو بناء مصانع مُنتجة تمكّن العربيّ من الانفكاك من هيمنة المُنْتَج الغربيّ، وتُعدّه لمستقبلٍ يكون فيه قادراً على مواجهة الحياة فيما لو نضب النّفط! ويحمل النَّصُّ على المجتمع الاستهلاكيّ مُحمّلاً المسؤولية الحكّام الذين لم يستطيعوا استثمار النَّفط في بناء حياةٍ حديثةٍ متكاملةٍ، وهذه الرّؤيا لا تستقيم مع مقولة أثر البنية التحتيّة في البناء الفوقيّ والوعي الشّمولي الذي يرى أنّ البنيَّة التّحتيَّة "هي التي تحدّد علاقة الإنسان بالطّبيعة، وتخلق المُقوِّمات الأساسيَّة للمجتمع، وكلُّ تغييرٍ في قوى الإنتاج المادية يُحدث تغييراً في العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة"[20].

ويبدو تردّي المستوى الاقتصاديّ العربيّ جليّاً إذا ما قُورن باقتصاديّات الدّول الصّناعيّة؛ وذلك لانعدام الإبداع والعجز عن الإنتاج، زيادة على التّبعيّة للآخر في كلِّ شيءٍ، فالعربيُّ مُستهلكٌ لما تفرزه تكنولوجيا العالم، يعيش على حوافّ الحضارة دون أن يتجرّأ على الولوج في أعماقها؛ وفي مثل هذه الحالة يكون الدولار سيّد الموقف؛ يوجّه السّلوك والرّغبات، ويحدّد الرُّؤى للأنا والآخر، ويطيح باقتصاديّات الدّول ويحدّد قيم عملاتها، وقد عبَّر الكاتب عن ذلك بصراحةٍ عندما جعل عنوان الفصل الأوّل من الرّواية "سيّدنا الدّولار"، ويصبح العربيُّ غيرَ قادرٍ على استعمال عملته المحليَّة "لأنَّنا- يقول السّارد- نخشى أن تتغيّر قيمة العملة في الفترة بين نية الشّراء وبين الوصول إلى المتجر"[21]، وقد انصبَّ اهتمام العربيّ على الاستهلاك المُفرط لكلِّ مُنتجٍ من المواد الغذائيَّة إلى التّقنية الحديثة، ووقف إزاء ذلك موقف المُتفرِّج المُنبهِر، فهو قادرٌ على قضم الأشياء سوى أنْ يعيَ نفسه والآخرين، إنّ الأعرابيّ، كما يرى النَّصّ، يتفرّج على العالم الجديد المُستتب، والدّماثة المُطلقة في اقتسام تكنولوجيا اليابان وأمريكا وأوروبا، وثريّات العالم وسجّاده، وجواهر علي بابا، وساعات سويسرا، وأحذية إيطاليا، وعطور فرنسا،... لم يبقَ شيءُ سوى المكتبة، التي يشير النَّصُّ إلى أنّ جَمَلاً دخلها والتهم كتاباً في" البنيويّة[22]، ولعلّه ممّا يبعث على المفارقة أنّ "البدوقراطي/ الحاكم" حرص، بعد استهلاكه للتّكنولوجيا، على اقتناء الخيول: "استورد ستةً وخمسين حصاناً جاءت بالطّائرة من سائر أنحاء الكوكب الأرضيّ.... وهذه الخيول تقضم القشَّ

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 11

الواصل من إيران بالطّائرة، والشّوفان القادم من باكستان بالطّائرة، وتلقى الرّعاية من أربعةَ عشرَ سائساً"[23].

إنّ قيم التبذّر والتّرف والبطر جلبت معها مظاهر الفساد، وخراب المؤسّسات، وتحكّم مجموعة من النّاس برأس المال، وأفضى هذا بالضّرورة إلى التّنافس المُقيت وتمكين العداء بين أفراد المجتمع، وتفتيت البنية الاجتماعيّة وانتشار المحسوبيّة والجهويّة والطّائفيّة، وتفشّي روح المؤامرات والدّسائس وتشييء البشر واستعبادهم واستلاب إنسانيّتهم،... وقد أفضى كلُّ ذلك إلى غياب الانسجام بين الزّمن التّاريخيّ والزّمن النّفسيّ أو العضويّ، أي الزّمن الذي "يُقاس بمدى نموّنا وتفاعلنا مع الزّمن التّاريخيّ"[24]، وقد عبّر عن ذلك الفصلُ الذي يحمل عنوان "تطوّحات محمد عربي محمّدين"[25]. ومن القيم السّائدة التي تكاد تشكّل إيقاعاً ثابتاً في الرّواية سرقة الحكّام لأموال النّفط؛ إذْ تصل مداخيلهم أرقاماً خياليّة، ومنها شيوع الشّراهة واستغلال المادة لانتهاك حقوق البشر؛ ويحمل الخطاب على مدن النّفط بطريقةٍ استفزازيّةٍ مُثيرةٍ للاستغراب، لا من حيث مباشرتها حسب، وإنّما من حيث علوّ صوت الكاتب فيها إلى حدٍّ يجعل من الخطاب برمّته تعبيراً عن تجربة ذاتيّة أخفق صاحبُها في التّعامل مع بعض النّاس، وعمّم تجربته الشّخصيّة لتنصرفَ من الأفراد إلى المجتمعات كلّها، ومهما يكن من أمر اللوم الذي يتحمله الماضي، فإنّه – أي الماضي - يكتسب ميّزاتٍ إيجابيّةً إلى حدٍّ كبير، ويحاول النّصُّ المقارنة بين هذا الماضي وعصر النّفط في مقطعٍ واحدٍ يقدّم صورتين متناقضتين للعربيّ كلٍّ واحدةٍ مرتبطةٍ بزمنٍ، إذ يرى الرّاهب ذلك على الرّغم من اتخاذه موقفاً سلبيّاً من الماضي، ولعلّه هنا يُحاول أن يدين الطّريقة التي تعامل العربيّ بها مع النّفط، فيقول: "هذه الآلاف كلُّها مُذنبة بانهيار إنسانيّتها أمام غوايات النّفط؛ بالأمس فقط كان آباؤهم يتركون المال والمتاع في عرض الشّارع ويمضون إلى صلاة الظّهر والعصر، فلا تحدث سرقةٌ واحدةٌ، بالأمس فقط، كان آباؤهم يكرمون الضّيف، يُغيثون الملهوف، ينصرون المظلوم، يعينون المحتاج... واليوم: هذا البطر، وهذه القحة والصّلف والعجرفة... هؤلاء كلُّهم مذنبون بجريمة خسّة الرّوح، وبجريمة احتقار البشر، وبجريمة العطالة والبطالة، والجشع والبشع..."[26].

وقد بلغ الحدُّ ببعض النّاس أن تاجروا بالدّين وتكسّبوا بالقرآن، ونشروا الشّعوذة بين النّاس، طمعاً في الاستحواذ على المادّة[27]، لقد كان تأثير النّفط سلبياً في حياة النّاس، ولعلّ أبرز آثاره السّلبيّة التّخلّف عن الحضارة الإنسانيّة في ميادين الحياة كافّة، ويبدو أنّ الحكّام سعداء بهذا التّخلّف؛ لأنّهم يجدون فيه أماناً لهم؛ ولأنّ القضاء عليه ومحاربته يعني تبصير الشّعوب بحقوقها، والمطالبة بالعدالة الاجتماعيّة، وتداول السّلطة، وتحرير العقل وامتلاك الإرادة، وهي أمور تُفضي بالضّرورة إلى وضع نهاية لهذا الحاكم الذي يسعى من النّاحية الشّكليّة إلى المحافظة على القيم

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/11 10

الدّينيّة على "إسلام القرن السّابع"؛ لأنَّه من خلاله يستطيع الهيمنة على الرّقاب، ونجده يحارب نقله إلى القرن العشرين، يقول: "نحن دفعنا مليارات البترودولار لنبقيه في القرن الثّامن"(28).

ويكشف النَّصُّ عن افتقار العربيّ إلى بُعد النَّظر، والتَّحديق في أهداف الغرب، والجمع بين المتناقضات؛ فيشير إلى التّكنولوجيا: المصاعد الكهربائيّة، والمطاعم على النَّمط الغربيّ، والأسواق التّجاريّة الكبرى التي بُنيت لتضاهي الحياة الأمريكيّة، وإلى جانب ذلك "تموّجات من الآيات القرآنيّة، والأحاديث الشّريفة، والدّعوات إلى الزّكاة، والتّبرعات كرمى للأخوة المسلمين المنكوبين بالشّيوعيّة في أفغانستان"(29)، وهنا نلمح التّجاور المعادي بشكل جليّ تضيع معه الهوية، ويعيش الفرد في حالةٍ من الازدواجيّة المُجهدة التي قد تُفضي إلى الاغتراب بأوسع معانيه، وفي هذه المسألة يعلّق ياسين النّصير، في سياقٍ مختلفٍ: "من عمق التّركيبة الاجتماعيّة للمدينة العربيّة يكمن ذلك التّزاوج المشوّه بين العلمويّة والخلفيّة الرّوحانية المتأصّلة، والتّزاوج قد تمّ بطريقة التّجاور المعادي وبأسلوب الاستيراد العشوائيّ والفوقي للحاجات، وعندما بدت الصّورة مشوّهةً في تطبيقات التّكنولوجيا على مداخيل الفرد العربيّ وصورته الثّقافيّة والحياتيّة، بدت العقدة تستفحل، فلا انتماء حقيقيّ لمتطلّبات التّكنولوجيا وأبعادها وما يتبعها من تغييرات جوهريّة في شخصيّة المجتمع ونظمه وممارساته وحريّته ومواقفه، ولا تمسُّك حقيقي بالرّوحانيّة المتأصّلة التي بدت هي الأخرى تُشهر العداء للتّكنولوجيا بحكم الخوف على مواقعها الشّعبية المتخلّفة"(30)، فالإنسان العربيّ، كما يصفه الرّاهب، بقي مُتأرجحاً بين حضارةٍ ماديّةٍ تكنولوجيّةٍ مفروضةٍ من الغرب الصّناعيّ، وبين واقعٍ يؤمن بالغيبيّات والقيم البدويّة(31)، ومن هنا يقف العربيّ موقفاً مُضحكاً مُهلهَلاً؛ فلا هو بالقادر على استيعاب الجديد، وليس بالقادر على الانتماء الحقيقي إلى تراثه الإيجابيّ، وتنعدم الرّؤية عنده للتّراث وللمُجْتلَب معاً، وهذه الازدواجيّة ليست حصراً على الفرد العربيّ، وإنّما تسم السّياسة الغربيّة التي تسعى إلى تحقيق مطامعها، ويلمّح الكاتب هنا إلى ما فعلته أميركا عندما شجّعت على مساعدة من كانت تسمّيهم أيّامها بالمجاهدين؛ لمحاربة السّوفييت نيابةً عنها، ولكنها تخلّت عنهم وجعلت منهم أعداءً.

ويخفق النّفط في خَلْقِ نظامٍ عربيٍّ مُوحّدٍ قادرٍ على تحدّيات العصر، وبدلاً من أن يعمل على توحيد الأمّة يساعد على تفكّكها دولاً وشعوباً، ويتحمّل مسؤوليّة ذلك كلّه الخليفة/ الحاكم الذي مرَّ بتحوّلاتٍ هائلةٍ منذ الخليفة الأوّل أبي بكر إلى عمر إلى "دهريار آل نفيطان" خليفة هذا الزّمان، الذي امتلك المال والنّاس "ليندحرَ هارون الرّشيد وتنطفئ الليالي العربيّة، وتتوهّج الليالي النّفطيّة، تهجع بغداد، ودمشق، والقاهرة، والقيروان، وفاس، وتخلع النُّفيطيّات، ومونت كارلو، ولاس فيغاس، يختفي علاء الدّين ويظهر المطوّعون"(32)، والخليفة نفسه يُبرّر استحالة وحدة العرب، فهم عنده، وعند الغربيين كحبّات الرّمل، "لا تمتزج حبتا رملٍ أبداً، ملايين السّنين تبقى الحبّة بجوار الحبّة... هكذا روح ابن الصّحراء، دائماً وحدها، زُجّها بين ملايين الأرواح تبقى

وحيدةً، التُّراب يمتزج، نحن نظلُّ رملاً، نحن العرب يستحيل أن تجعل منَّا أمّةً وشعباً"[33]؛ لذلك بقيت الأمّة مُفتَّتة إلى دويلاتٍ ضعيفةٍ لا وزن لها ولا قيمة، تظلُّ دائماً مطيَّةً للآخر، ولذلك لا يجوز للعربيّ دخول بلدٍ عربيٍّ آخر إلاّ بتأشيرةٍ ولا سيما إمارات النَّفط. ولم تكتفِ الرِّواية بتحليل تفتّت الأمّة، وإنَّما أمعنت في الحديث عن تشظّي الشّرائح الإنسانيَّة داخل المجتمع الواحد، ويبدو أنّ الكاتب يسلّط الضّوء على جغرافيا بعينها من خلال تجربةٍ ذاتيّةٍ، وقد أطلق النّصُّ عليها في مكان ما منه نُفيطيَّة "كاف": ففي هذه الجغرافيا ثمّة من يجلس على القمّة وهو "الأصيل"، كلمة تطلق على عشر عائلات أخطبوطيَّة، هي التي تملك البلاد ومعها ألف مليار بترودولار. وكلّ المواطنين الآخرين سكّان بالتجنيس، الدّولة ملك للذين بالتأسيس: البرلمان والحكومة والمؤسّسات، أمّا الذين بالتّجنيس فهم موظَّفون، ويستحيل التّزاوج بين الطَّبقتين، ثمَّ هناك البدون والوافدون، هذه الأجناس الأربعة تنقسم أيضاً إلى شرقيّ وشماليّ، غربيّ وجنوبيّ، وهناك الشّيعة والسُّنة... لا تزاوج بينهم ولا تعايش، علاقات تجاريَّة وحسب، هؤلاء ليسوا دولةً، إنَّهم شركةٌ، وكلُّ عضوٍ فيها يريد أن يفوز بالمرابح.. وداخل هذه التّوزيعات أرقامٌ أخرى مُفزِعة: أصيل/ عرب/ عشائر/ بدون/ داخل السّور/ برّات السّور/صامدون/ مرابطون/ أهل البادية/ حضريّ/ عوازم/ إخوان/ مطران...إلخ، في هذا المجتمع تجد عشرين قوميّةً، وعشرين ولاءً، وعشرين جبهة حرب، وعشرين بغضاً، وعشرين تحالفاً، وعشرين خيانةً وخنجراً، وعشرين غدراً ولغةً، وعشرين حقلاً للنَّفط [34].

ما الذي فعله الخليفة/ الحاكم؟ وما طبيعة الحاكم والمحكومين؟ كيف يفكّر هؤلاء؟ وكيف يسلكون؟ يبدو الاستلاب وقمع الحريّة من الأمور القارّة في هذا المجتمع؛ ومنذ الاستهلال السّرديّ، يُقدّم لنا الإنسان العربيّ مُستلَباً، يعيش حالةَ قمعٍ واضطهاد، ويسيطر التّحريم على الكتابة والقول في "السّياسة والدّين والجنس"، ولذلك تظلُّ الكتابة هلاكاً، والكلام موتاً، لكنّ الإنسان بفطرته يتوق إلى الحرية في القول والحركة والفعل؛ لأنّ ذلك كلّه يمثّل الحالة الطّبيعيَّة التي وُجِدَ عليها؛ ولأنَّه إن لم يمارس الكتابة والبوح يموت ويفضّل "الموت في القصص على العيش في قفص"[35] على حدِّ تعبير النَّصّ الذي يكشف عن شيوع قيم القمع، والاستلاب، والتّسلط، والقتل المجاني، والتّلذّذ بالتّعذيب، والرّاهب وهو يشير إلى ذلك يستعين دائماً بالماضي؛ ليكشفَ عن عورات الحاضر، فالخليفة/ الحاكم الذي نصّبه الميجر فكس يشعر بنشوة القتل لمجرّد أنّ شخصاً اتهمِ قبل أربع سنوات بأنَّه تزوّج غلاماً في الرّابعة عشرة، وقد أقسم على ذلك زوراً - فيما يبدو- أربعةُ شهود، وهنا يمضي السَّياف، ويفصل الرأس عن الجسد، ويرى السَّارد أنّ هذا القتل يخلو من الفنيَّة والاحتراف والابتكار. الابتكار نراه عندما قُطع جسد الحسين بن علي، ثمّ عبد الله بن الزّبير أربعين قطعةً، كان كلُّ منهما قتيلاً واحداً، فصار أربعين هذا دون

أن نضيف الرّأس إلى العدد، ويُحمل الرّأس إلى دمشق لينتشيَ الخليفة، وعندما فُتّتت الأجساد كان الحجّاج قد وصل حالةً من الوجد إلى الحدّ الذي أُغمي عليه(36).

وتحضر شخصية الحجّاج بشكلٍ لافتٍ في الرِّواية ليمثّل الديكتاتور الذي لا يستهويه إلا مناظر الدّماء، والفتك بالنّاس والقتل المجانيّ الجماعيّ، وعلى الرّغم من أنّ الحجّاج لم يعد صالحاً للعصر، فإنّ فعله ظلّ يصبغ فترات الزّمن ولا سيما القرن العشرين. واليوم لا أحد يتمرّد على الخليفة الذي أوجد الحجّاج، حتى الحجّاج نفسه؛ لأنّ عاقبة التمرّد وخيمة، ولعلّ الكاتب أسرف في المبالغة في إدانة الحجّاج والخليفة - تماماً كما بالغ نبيل سليمان الذي علّق على هذه الرّواية - عندما جعل الحجّاج الجديد رمزاً لصدّام حسين، ونسي أنّ الاستبداد سمةٌ قارّةٌ في الحياة العربيّة، ناهيك بنسيانه للفعل الغربيّ في السّيطرة على الشّعوب واستلاب مقدّراتها، كما سنرى، ولا يملك القارئ إلاّ أن يستهجن ابتهاج نبيل سليمان ومعه الرّاهب عندما عصفت الصّحراء بالحجّاج، كأنّهما نسيا أنّ الذي أنهك الحجّاج ثمّ أطاح به هو الغرب، يقول: "لسوف تهبُّ على الحجّاج عاصفةٌ من الصّحراء، وتعصف بكوفيّته وعقاله حتّى تردّه أسفل سافلين، يريد أن يتمرّد على الخليفة والرّئيس فكس! فليرَ عاقبة تمرّده، سيتدخل ملوك القرن العشرين كلّهم لحماية ملك الزّمان دهريار آل نفيطان؛ لأنّ كتاب الله معنا، وكتاب النّفط معنا. والله سخّر لنا أن نشتري كلّ من نريد"(37).

بيد أنّ هذه المماهاة بين الحجّاج وغيره قد تفقد مشروعيّتها، إلى حدٍّ، إذا تذكّرنا أنّ الرِّواية نفسها - وفي غير موضعٍ - تشيد برجل الدّولة الذي يسعى إلى حماية أرضه، كما تصوّره شهرزاد، ومهما يكن فإنّ الخليفة الجديد لا يجد متعةً إلاّ في الاغتصاب والقتل، وفي وجدانه وعقله لا يعرف إلا الخير والشرّ، ولكنّه لم يعرف القبح والجمال، انتقل من القرون الفائتة ليتعامل مع الميجر الحضاريّ، ويلتقي فرانكلين فكس الذي أصبح مُحرِّراً لكلّ شيءٍ: "سيتكفّل فرانكلين بالحرب العالميّة الثّانية، وهتلر، والنّفط، وثالث الحرمين الشّريفين، وإسرائيل، والشّيوعيّة.... وسيعود الخليفة إلى سياحاته بين القرون"(38)، هذا هو الخليفة باع نفسه ووطنه وماله، وتاه في جهالاته وخيباته، يطلب الرّئيس فرانكلين فكس أن تُلبّى له رغبةٌ ما، فخشي الخليفة أنّه يريد عدداً من جواريه وقيانه، هو لا يستطيع التّخلي عن ذلك، ويأتي طلب الرّئيس مُسعداً للخليفة:" السّيّد الرّئيس يريد من جلالتكم وعداً ألا تعطوا للإنجليز ولا لغيرهم امتيازاً نفطيّاً في خلافتكم، فقط للأمريكيين، يتنهّد الخليفة مبتسماً، ليأخذ النّفط كلّه ما دام لم يطلب واحدةً من نسائه"(39).

والخليفة نفسه يتمنّى أن يُنزّل عليه وحيٌ من السّماء، لا ليهدي النّاس، وإنّما ليهيمنَ على كلّ شيءٍ، وعندما يأتيه أبو الفتح الإسكندريّ (أحد ساردي النّصّ) يسميه الخليفة فتحائيل، واستغرب الخليفة أنّه لا يحمل كتاباً، فأجابه السّارد: إنّ كتاب الخلافة هو كتاب النّفط(40)، والخليفة هنا مُدّعٍ منافقٍ يظهر ما لا يبطن، يدّعي أنّه سيقيم حكم الله على الأرض، ويطبّق شرعه، ولكنه

يشتري النَّاس بالمال ويقول ذلك وهو يبحث عن الخمرة، ويتمترس الخليفة/الحاكم وراء الدّين لفعل كلِّ ما هو منكر ومحرّم مدعياً على الله ما لم يقله ليصلَ في لحظةٍ من اللحظات إلى درجة من الاتحاد والحلول في الواحد الأحد، وفي إحدى مقاطع الرِّواية يتكشّف لنا عن إزدواجيّةٍ صارخةٍ بين معاقرة الخمر وممارسة الجنس ورؤية الله: "قال الخليفة بشغفٍ وقورٍ: كم إنّ هذا المكان يصلح للحبِّ، لم أفهم مراميه، تقول السَّاردة، ولم أكترث، قلتُ: "ما هذه اللمعانات؟ فأجاب:" هذه أزرار، اضغطي على أيٍّ منها يأتيك المشروب الرّوحيّ الذي تحته.... ويواصل يجب أن أقول لك أنّني في الغار أصل إلى حالةٍ من الوجد الرّوحانيّة تستطيع فيها حتّى عيني العوراء رؤية الله"[41]، وتُقلق الخليفةَ كثرةُ المالِ، ماذا يصنع به؟ وأين يضعه؟ في المصارف، لا يجوز؛ لأنّ ذلك ربا، وهو حرام. هذا هو الخليفة يهرع وراء كلِّ امرأةٍ ويبحث عن كلِّ مفسدةٍ، ويطلب من الغرب المحافظة على الحرمين الشّريفين، ويحرّم وضع الأموال في المصارف، لا يقبل الحريّة ولا توزيع الأموال أو استثمارها، يقول: "إذا جعلتُ الدّين يسراً لا عسراً... فكيف أحكم هؤلاء الأعراب؟ إذا حرَّرتُ عقولَهم من حرفيّة النَّصِّ وأخرجتها خارج متاهة اللغة العربيَّة، فكيف أربك حياتهم وأرهقها؟ في اليوم التّالي يطالبونني بالدّيمقراطية، وتوزيع الخراج، وسينهض عبدالله بن الزبير من قبره ويعتصم بالكعبة ثاقباً أذني بصيحة عمر: كيف استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟"[42]، ويقدّم الخليفة الوسكي للسَّارد، ثم يخطب في النَّاس الذين جاءوا إليه من كلِّ الأصقاع، ويرى أنّه ظلّ الله في الأرض[43]، ولكنّ الحاكم مُستلبُ الإرادة مملوءٌ بالخوف.

العربيُّ يعشق العبادة، فإن لم يجد ربّاً خلق لنفسه أرباباً، جاءت رسالته لتحمل المعاني النّبيلة وتسعى إلى احترام الإنسان وتحريره، ولكنّه لم يستطع التّخلص من رَحْلِهِ وجمِاله، قُتِلَ عمر وعليّ فأمسى النَّاس تلدهم أمهاتهم عبيداً[44]، وأصبح القتل فعلاً يبعث على النّشوة، وعندها بدأ مشروعه بالتّراجع ثمّ بالانهيار، هذا هو العربيّ، لم يُحسن استثمار الفكر الذي يملك ولا الثّروة التي يملك، تجذّرت فيه البداوة، فما إن يخرج منها حتّى يتمنّى العودة إليها، وفي فترة تحدّدها الرِّواية في بداية القرن الثَّامن عشر، يرغب الأعرابيّ في استعادة عهد الشّيخين أبي بكر وعمر، ولكنّه بدلاً من أن يحرّر البشر بدأ بإبادة معارضيه، قتل أخويه، ومسك القرآن بيدٍ، والبارودة باليد الأخرى، صفّى شيوخ آل غنمان، ثم آل نويران، وآل رشيدان... بيد أنّه رأى أنّ القتل بالمسدّس لا يشفي الغليل ولا متعة فيه، فعاد إلى القرن الثّامن حيث السّيف يهوي على الرؤوس ويمزّق الأشلاء[45]، يدعو إلى دينه بالقوّة، ويبتدع مفردةً جديدةً تضاف إلى مفردات استلاب الحرية: "المطوّع بيده سيفٌ مسلولٌ، وفي صدره إيمانٌ نابضٌ"[46].

ومرّة أخرى تعبّر الرِّواية بطريقةٍ مباشرةٍ عن رؤيتها للتّاريخ العربيّ: الماضي والحاضر، والرّموز التي لم تستفد منها الأمّة وتوظّفها لتطوير أفكارٍ جديدةٍ تنهض بها إلى مصاف الأمم المتقدّمة، كان عمر بن الخطّاب يدعو إلى تحرير الإنسان، ولكنّ هذا الإنسان استعبِد واستعسل

التّبعيّة، تحدّث الكواكبيّ عن طبائع الاستبداد فازداد النّاس استعباداً، ورأى الغزاليّ في الفلسفة تشكيكاً في الدّين فأغلق بوابتها، ولكنّ الإسلام لم يبقَ على ما هو عليه، وُظِّف ليخدمَ أشخاصاً ذوي أسماء مختلفة في أماكن مختلفة وأزمان متباعدة، صرخ المتنبي منادياً بعروبة الحاكم: إنّما النّاس بالملوك/ فما تفلح عربٌ ملوكها عجمٌ، أمّا النّفريّ فناهض استقرار العلم وعدّه نظيراً لاستقرار الجهل(47).

إنّ ما يقابل هذه المفردات هو هيمنة التّخلّف، والجهل، والإيمان بالخرافات، والإزدواجيّة، والمجاورة المعادية، وجمع المتناقضات، وسيطرة الأجنبي، وشيوع قيم التبذّر والاستهلاك الأعمى، ويستثمر الرّاهب مقدّمة ابن خلدون ويكيّفها لتتناسب مع العجز العربيّ المعاصر، وتفيض هذه القراءة المحوّرة بالنّقد اللاذع الذي يعرّي التّخلف العربيّ، ويكشف عن وهنه وغيابه من ميدان تتنافس فيه الأمم بالعلم والعمل، فضلاً عن كونه ألعوبةً بأيدي الطّامعين، نهباً للغرباء، هذا العربيّ الذي ينام على بحار من النّفط لا يستطيع أن يتصرّف فيما يملك، بل يحتاجٍ إلى مُكتشِفٍ، وللمكتشِف حقُّ الامتلاك، وحقُّ الإقصاء، وحقُّ صناعة الدّول بالورقة والقلم، بدلاً من أن يكون القلم صانع ثقافة أصبح صانع دويلاتٍ هزيلة، وبدلاً من استثمار هذه الثّروة في التّنمية الصّناعية والاجتماعيّة والزّراعيّة، نراه ينزاح عن المدن إلى الصّحراء تاركاً صناعة الثّقافة وحريّة العقل(48).

وإذا كانت الأسباب التي أوردها النّصُّ تعود إلى طبيعة العربيّ، والظّروف الموضوعيّة التي قادته إلى التّخلُّف، وتمسّكه بسلبيّات الماضي دون إعمال العقل أو تفعيل دور هذا الماضي، فإنّ النّصَّ يحمّل الآخر – كما سنرى – مسؤوليّة ما آلت إليه الأمّة، وعلى الرّغم من أنّ الرواية تكشف عن نظرتين متناقضتين إلى الماضي؛ نظرة ترى فيه مستودعاً للقتل، واستلاب الحرية، وقمع الإرادة، وأخرى ترى في بعض رموزه مناراتٍ للعدل، والحريّة، والدّفاع عن الحقّ كما هو الحال في شخصيّات عمر بن الخطّاب، وأبي بكر، والحسين بن عليّ، والمأمون، فإنّ الرّؤية العامّة للنّصِّ تشي بأنّ الماضي لن يكون حلّاً لمعضلات الأمّة المعاصرة، وأنّه آن الأوان أن يفيق العرب من العيش في هذا الماضي بكلِّ أبعاده، وأنّ المطلوب الآن هو صياغة الحياة العربيّة لكي تنسجمَ مع حياة القرن العشرين، حياة العقل والتّحرر والتّكنولوجيا؛ فلم يعد صلاح الدّين موجوداً لتحرير ثالث الحرمين الشّريفين من نير الاحتلال الصّهيونيّ، فعلى الأمّة - والحالة هذه - أن تكون على مستوى التحدّي الجديد، ولو وُجِدَ صلاح الدّين في المرحلة الحاليّة لما استطاع تقديم شيءٍ؛ لأنّ عقليّة الزّمن قد تغيّرت، ولم يعد الفرد هو الذي يصنع النّصر؛ وإنّما أصبحت مكوّنات الأمّة هي القادرة على تحقيق النّصر باحترام العقل، وتحرير الإرادة.

وتأتي المفارقة عند ظهور جحافل الحجّاج في الوقت الذي يبحث فيه العربيُّ عن صورة صلاح الدّين، ولعلّ في ذلك إشارة إلى عجز الإنسان العربيّ عن التّخلّي عن طبيعة القمع والقتل، إنّ العيش في الماضي إنّما هو تعبيرٌ عن الموت وتخلٍّ عن الحاضر والمستقبل معاً، تقول السّعلاة

التي شُخِّصت لتحاور محمّد عربي محمّدين: "أنتم العرب جنس غريب، واحد يبحث عن عمر بن الخطاب. واحد يبحث عن صلاح الدّين. واحد ينتظر المهدي، ولا أحد يفعل شيئاً للمستقبل"(49)، فضاعت فلسطين، وتشرّد أهلُها، ومنهم محمد عربي محمدين الذي تعرّض لتحوّلاتٍ جسديّةٍ تتناسب مع التحوّلات التي فرضها القمع والقهر، فطرده اليهود من ثالث الحرمين ليسكن لاجئاً في مدينة الأسئلة التي لا إجابات لها(50)، وكأنّها تعيش اللامعقول، وتنتقل من سؤال إلى آخر دون العثور على إجابة، وإذا كانت مدينة "كيف" قد قذفته بالحجارة، فإنّ مدينة "ماذا" أبرزت له وجه الحجّاج "إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها"(51)، إنّ وجود العسس في مدينة "لماذا"، ومرور موكب الحجّاج جعله يتحول إلى كلبٍ أصفر اللون، مُنجرد اللحم لتحقّق دعوة أُفْقْزاد(52).

والنَّصُّ هنا يُقدّم أحداثاً متداخلةً يمتزج فيها الماضي البعيد بالماضي القريب بالحاضر المفجع، ليعلنَ عن أنّ سطوة السّيف والزّيف والقمع والاستلاب التي شكّلت الماضي وظلّت سبباً في ضياع الأرض والكرامة باقية، وقد كشف السّارد عن وجود الماضي في الحاضر من خلال الكشف عن آثار هذا الوجود السّلبي الذي يُفقد المرء مقوّمات حياته الكريمة، ويجرّده من كلٍّ ما يصله بالإنسانيّة من قيمٍ نبيلةٍ تجعل لوجوده معنىً، ولنترك الحديث لعربيّ: "وجدتني قد شفيت من حالاتٍ نفسيّة... من الغضب لأنّني بلا كبرياء، من القهر لأنّني بلا كرامة، من الحنين لأنّني بلا وطن، من الخيبة لأنّني بلا أمل، من القلق لأنّني بلا طموح، من الغيرة لأنّني بلا مشاعر"(53)، وممّا يلفت الانتباه أنّ شخصيات تاريخيّة اتخذت شكلاً سلبياً تبقى حاضرةً في النّصِّ، ومثال ذلك الحجّاج الذي يحضر دائماً بوصفه رجل دولة أحياناً أو رمزاً للصّلابة والاستبداد، وكأنّ كلَّ أميرٍ أو خليفةٍ أو حاكمٍ في بلاد العرب هو نسخة من الحجّاج بصورته القديمة أو بصورةٍ مطوّرةٍ تتناسب مع الزّمن.

ولعلَّ ذلك يعني من منظورٍ فنيٍّ أنّ الإنسان العربيّ يعيش حالةً سكونيّةً ثابتةً، وأنّ تحوّلات عربيّ اتخذت شكل تحوّلات الحيوانات، فمن كلبٍ إلى خنزيرٍ إلى ذئبٍ إلى ضبعٍ إلى غير ذلك، وأنّ الأمور انقلبت، فالعرب أصبحوا لاجئين، و"الفئة القليلة (اليهود) قد غلبت الفئة الكثيرة (العرب) بإذن الله، واستولت نهائياً على ثالث الحرمين الشّريفين"(54)، وإذا كان عربيٌّ قد مرَّ بهذه التحوّلات فإنّ الديكتاتور، بلغة نبيل سليمان، قد تحيون أيضاً إلى ذئبٍ مفترس، يهدّد: أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا/ متى أضع العمامة تعرفوني(55)، ومهما يكن فإنّ تحوّلات محمّد عربيّ محمدين كانت في المكان في مدن "لماذا"، و"كيف"، و"متى"، و"أين"، وفي الزّمان الممتد من آدم إلى أيّامنا، وتمثّل هذه التحوّلات - وإن كانت تحضر في عصرنا - قلق الإنسان العربيّ وحمله كثيراً من الأسئلة!! تنتهي تحوّلات محمّد عربيّ محمدين عندما سافر إلى بريطانيا التي خلقت إسرائيل وجعلته لاجئاً، كأنّها تكفّر بذلك عن ذنوبها.

المبحث الثّاني: إدانة الآخر

يُقدّم الغربيُّ في بعض مفاصل الرّواية إيجابيّاً يتوق دائماً إلى الحريّة، يمتلك إرادته ويرفض القيود، لا يعترف بمفهوم العيب، فانطلق عقله إلى أقصى الآفاق؛ يبحث عن كلّ جديد، ويبدع للبشريّة ما كان مستحيلاً، لا يعرف المحرّمات، يعرف فقط ما يُعدُّ ذنباً وما لا يُعد، ما هو قانونيّ أو غير قانونيّ، تبدو الحياة في نظره جدلاً دائماً متحرّكاً، يرفض السّكون والثّبات تماماً كما يرفض القيود، ينتصر للعقل وحرية الكلمة والفعل، وينصرف دائماً إلى العمل والتّجربة، تقوده الحواس ويوجهه فكرُه إلى الولوج في عوالم إبداعيّة، يتشوّق إلى المعرفة التي لا تحدّها حدود، فينطلق إلى تقديم التّكنولوجيا ويغزو الفضاء.

بيدَ أنّ الرّواية، في مقاطعَ كثيرةٍ، تقدّم النّظام الغربيّ في اتجاهٍ مناقض؛ فيبدو ماديّاً جشعاً يدّعي امتلاك الإنسانيّة كالمساواة، والحريّة، واحترام الآخر، ولكنّه يبتلع هذه المبادئ عند تعامله مع الآخرين ولا سيّما العرب، فيصبح باحثاً عن الثّروة والسّيادة وتقسيم الدّول وقهر الشّعوب وتفتيتها؛ حتّى لا تعود قادرةً على المقاومة ويستقر في وعيها أنّ الغرب لا يُقهر، وأنّ حضارته لا تُضاهى، وأنّه ليس بمقدور العربيّ أن يلحق بركب حضارته؛ لأنّها حكرٌ عليه، ويتجاوز الأمر ذلك إلى منع العربيّ من الإسهام في الحضارة الإنسانيّة وبناء قوّته الذّاتيّة؛ ليبقى دائماً عالةً على الغرب.

فالنّظام الغربيّ يتفنّن في تقسيم الأمم وإضعافها، ليتمكّن من سلب خيراتها، وها هو الميجر فكس/ الإنجليزيّ أو الأمريكيّ أو أيّة جنسيّة أخرى يقسّم الجزيرة العربيّة، يقول السّارد: "كان الخلفاء قد اختلفوا على الحدود، لكنّ الميجر فكس وبّخهم في يومٍ مشهود. امتشق قلماً وفتق ورقةً، ورسم خطّاً من البحر إلى الصّحراء، فإلى الصّحراء فإلى البحر، قال: لتكن هذه نُفيطيّة سين فكانت. وقال: لتكن هذه نُفيطيّة جيم، فكانت. قال لتكن النُّفيطيّات، فكانت. ذلك هو الميجر فكس صانع الدّول"(56)، وقد أفزع هذا الأمر شهريار الذي استيقظ من غفوته الطّويلة، فتساءل مخاطباً شهرزاد: "أحقّاً ما تقولين إنّه بقلم رصاص وورقةٍ رسم ميجر فكس هذا أمصاراً ودولاً وشعوباً، ووضع على كلٍّ منها خليفةً يأتمر بأمره؟"(57).

ويسعى الغرب إلى خلق الأزمات وافتعال كلّ أنواع الخلافات بين الدّول العربيّة، بل إنّه يخلق عدم الثّقة بين الشّعوب والحكّام؛ لأنّ فلسفته تقوم على إرهاب الحكّام من شعوبهم، فيضطرّ الحكّام إلى الاستعانة بالغرب يطلبون حمايته، وعلى المستجير أن يدفع الثّمن... والثّمنُ غالٍ: النّفط جُلّه أو كلُّه يذهب إلى الغرب لقاء الدّفاع عن الدّول(58)، ويحشد الغرب كلّ ما لديه من المُبرِّرات التي تسوّغ له التّدخل في شؤون الشّعوب وتقسيم الدّول والتّلاعب بمصائرها، وبأسلوبٍ ساخرٍ يفسّر الرّئيس فكس - وهو هنا يتحوّل إلى جورج بوش الأب - في إحدى رسائله المُقتضَبة إلى أبيه الذي في السّماء السّبب الرّوحيّ لعدالة التّدخّل على نحوٍ يكشف عن مفارقةٍ صارخةٍ بين ما يدعو إليه

من عدالةٍ، وديمقراطيّةٍ، وحريّةٍ، وبين ما يقوم به، يقول: "خلال عصور جيولوجيَّة سحيقة، توزّعت خامات الطَّبيعة في المحيطات والقارات، ثمَّ استقرَّت على النَّحو الذي نراه الآن، كان من حظِّ هؤلاء العرب أن انتشرت الصَّحراء في ثمانين بالمئة من وطنهم، وشاءت المصادفات الجيولوجيَّة أن يترقرق النَّفط تحت ثمانين بالمئة من تلك الثَّمانين بالمئة. لا اعتراض على مشيئتك يا ربِّي... لكن يا أبي عدالة الطَّبيعة ليست متوافقة مع عدالة البشريَّة، ولو لم ننجح في تقسيمهم إلى عشرين دولة، لكان بوسع راكبي الجمل هؤلاء أن يجبروا كلَّ شخصٍ من هذه البلاد أن يركع على قدميه، فهم يمتلكون ثلاثة وستين بالمئة من احتياطي النّفط العالميّ، وألف مليار دولار موظَّفة خارج وطنهم، واثنين وعشرين بالمئة من احتياطي الغاز في العالم... لو أنَّهم عرفوا كيف يتصرّفون ببترودولاراتهم... لو كان حظُّهم من العقل مثلَ حظِّهم من النَّفط، لكنتُ الآن موظَّفاً صغيراً في إحدى شركاتهم"[59].

وعندما كان بعض العرب يحاول بناء قوّته الذّاتيّة، للمحافظة على ثروات الأمَّة والدّفاع عن حدودها، كان الغربيّ يشجّعه ويراقبه عن قرب ليطيحَ به مرّةً واحدةً؛ لأنَّه يشكّل خطراً على النَّفط وعلى إسرائيل، لقد حاول العراق، مثلاً، أن يدخل العصر الجديد علماً وثقافةً وتكنولوجيا، ولكنَّه لم يكن يعلم أنَّ الغرب يستدرج هذا الثّور البابليّ- كما يقول فكس: "إلى حظيرةٍ صغيرةٍ، لأحصره فيها وأقتلع قرنيه... وحقّاً فإنَّ قرنيه قد طالا في السّنوات العشر الأخيرات حتّى أطلّا كالرّماح على بحار النّفط كلِّها، وأخافا حتّى صديقتي الشّجاعة ماغي (إسرائيل). أنت تعرف يا أبي، أنا لا يمكنني السّماح لهذا الرجل أن يسيطر على ثلث إنتاج الصّحراء اليوم، وثلثي احتياطي العالم من النّفط غداً"[60]، ويبدو النَّصُّ غايةً في المباشرة والتّقريريَّة عندما يتحدّث عن أسباب حرب الخليج الثّانية؛ فيحمّل المسؤوليَّة إلى الطّرفين العراقيّ والأمريكيّ، ويجعل من صدّام حسين حجَّاج هذا الزّمن المغرور الذي ستعصفُ به عاصفة الصَّحراء؛ وقد دفعت هذ الإشارات الرّوائيّ والنَّاقد السّوري نبيل سليمان إلى كتابة مقالة مُقتضَبة عن الرّواية وسمها بـ "من الحجَّاج بن يوسف إلى صدّام حسين: موسم روائيّ للديكتاتور"، وقد أسرف سليمان في تعرية النِّظام الديكتاتوريّ العربيّ، والحديث عن مظاهر القمع والاستلاب صابّاً جامّ غضبه على صدّام حسين، كما يشي العنوان والمضمون، ولا نفهم لماذا غضّ الكاتب الطّرف عن الممارسات الأمريكيَّة ولم يُدن هذه الغطرسة والهيمنة، كما فعلت الرّواية؟ هذه الهيمنة التي لا تسعى فقط إلى الاستحواذ على النّفط، وإنَّما تسعى إلى الهيمنة على الشَّرق الأوسط بكامله، فهل يهلّل سليمان، كما فعل غيره، لقدوم الطَّائرات الأمريكيَّة التي دمّرت العراق وجوّعت أبناءه؟ ولعلّه من الحقِّ أن نشير هنا إلى أنَّ الرّواية جعلت صدّاماً بديلاً للحجّاج، وهو ما راح سليمان يوقع عليه في مقالته كلِّها، فيشير، كما فعلت الرّواية، إلى أنّ داروين لم يدرس تكاثر الطّغاة وتسبّبهم في تقزّم البشر أو تحوّلهم إلى عضويّات دنيا، على ذمّة محمد عربي محمدين في الرّواية[61]. لقد نصّب الأمريكيّ نفسه وصيّاً على

الشّعوب، وادّعى أنّ من واجبه حمايتها والمحافظة على حدودها، وعلى الرّغم من أنّه يعترف صراحةً أنّه هو الذي أوقع بالعراق لاجتياح الكويت التي يقول إنّه رسمها، فإنّه يختلق الذّرائع لضرب العراق، وهنا يجب التّفريق بين المحكومين ومن يحكمهم! لماذا يطلب بوش الأب المغفرة، ألأنّه كذب على ربّه وشعبه، وادّعى أنّ العراق يتوفّر على أسلحةٍ مُدمِّرة؟ أم لأنّه أراد آبار النّفط؟ أم لأنّه يعترف أنّه نصب مصيدةً ليقعَ فيها من لا يسيرون على وفق الإملاءات الأمريكيّة؟ لقد اعترف بوش صراحةً أنّه أوقع بالعراق وشجّعه على عمله الخاطئ، ولنقرأ ما يقوله فكس في إحدى صلواته التي تؤرّخها الرّواية بـ 8/5/ 1990: "أطلب المغفرة أيّها الربّ؛ لأنّي أصلّي لك الآن وأمامي خارطة وورائي صاروخ، فهذا الثّور البابليّ وقع أخيراً في مصيدة إيبريل غلاسبي، واخترق بجيشه الخطوط التي رسمناها في الرّمال، كاشفاً عن رؤوس قد أينعت وحان قطافها. عندما تقع أخطاء في الجغرافيا، على السّياسة أن تحمل صاروخاً وتقوم بتصحيح الخرائط"(62).

ويصف الخطاب الرّوائيّ بلهجةٍ مُفعمةٍ بروح التّشفّي ما حلّ بالعراق سنة 1991م، عندما اجتمعت الدّنيا كلّها لتدمير العراق، البوارج الحربيّة من كلّ حدبٍ وصوب، وحاملات الطّائرات التي تحتضن الآلاف منها، والصّواريخ المتعدّدة المدى والصّنع، لقد دُمّر سلاح الجوّ العراقيّ والدّفاعات الجويّة، وأصبحت قواعد إطلاق الصّواريخ جزءاً من الماضي، ودُمِّر ما يقال إنّه أسلحةٌ بيولوجيّةٌ وكيميائيّةٌ، وقُصِفَت آبار النّفط، وأُبِيدت ثماني فرق من الحرس الجمهوريّ ومخازن المُؤن والبُنى التّحتيّة، وبدأ الثّور البابليّ يخور أمام ضياع 400 ألف جنديّ في الرّمال(63). ومن المفارقات العجيبة في الرّواية أنّ العرب دفعوا ملايين الدّولارات لترجيح كفّة الحرب، ورَشَوا أعضاءً في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وهم لا يدركون- يقول النّصُ- أنّ أمريكا ستحارب حتّى لو لم يدفعوا دولاراً واحداً (64)، وقد مضى الأمريكيّ في مخطّطه للوصول إلى بغداد، وتحقّقت في القرن الحادي والعشرين نبوءة بوش الأب الذي وعد أبناءه المقاتلين في لقائه بهم بمناسبة عيد الشكر: "ولسوف نذهب إلى بغداد، ونرتّل هناك نشيدنا الوطنيّ"!!(65).

لم يكن العراق وحده الهدف من الحرب، وإنّما كلُّ بلاد العرب؛ لأنّ فكس/ بوش جاء بروحٍ صليبيّةٍ تهدف إلى الانتقام من كلّ ما يمكن للأمّة أن تعتزّ به، ولا ينسى بوش في صلواته صرخة الجنرال أللنبي عند قبر صلاح الدّين عندما احتلّ دمشق "ها نحن قد عدنا يا صلاح الدّين"، ولا ينسى أيضاً أنّه لم يسبق لمسيحي أن اقترب من الحرمين منذ أبرهة الأشرم! أمّا الآن فيسعى فكس إلى تمريغ كرامة الأمّة، فيقول: "أمّا الآن ومع إلحاحهم في طلب الحماية فسيكون عدد الأمريكيين أكثر من نصف مليون، وهم قاب قوسين أو أدنى من الحرمين... ترى من سأخاطب منهم عندما أذهب بعد ثلاثة أشهر لقضاء عيد الشّكر مع فتياننا وفتياتنا...سنكون وراء خطوط صلاح الدّين بأف ميل، عند خطوط مرسومة في الرّمال، ولكنّها لا تُمحى، وسنكون قد أقمنا قلاعاً من الأسلحة والفتيان والفتيات حول حجرهم الأسود، كم قرناً سيلزمهم بعد ليندمل جرح كرامتهم؟"(66).

ومن بواعث الحرب التي يقدّمها فكس لإقناع النّاس المحافظة على أمن إسرائيل، لقد قامت جيوش الغرب بإنشاء إسرائيل، بعد أن قسّمت العالم العربيّ إلى دُويلات هزيلة، وفي سنة 1967م تقوم أمريكيا بالحرب نيابةً عن إسرائيل[67]، ولقد زرع الميجر فكس في ثالث الحرمين الشّريفين مليون شوكة صهيونيّة، وظلّ العربيّ على ما هو عليه، تغيّر لباسه وطعامه ولم يتغيّر تفكيره، دفع البدو- على وفق تعبير الرّواية -" شيكات لحرب الحضر، وحمدوا الله والرّئيس فكس على قيام إسرائيل، والقبائل التي وحّدها محمّدٌ في خير أُمّة أُخرجت للنّاس، صارت دولاً تتصارع فيما بينها وتحتمي الواحدة من الأخرى بإسرائيل والرّئيس فكس"[68]، وفي موقع آخر من الرّواية تحضر إسرائيل دائماً سبباً في حربٍ تقوم بها أمريكا بالنّيابة، ويتهم الرّئيس فكس من حوله بقصر النّظر والعجز عن الرّؤية المستقبليّة؛ فكولن باول يريد أن يصحّح الانطباع الذي تركته السّفيرة إيبريل لدى العراقيين عن عدم التّدخل الأمريكيّ في الشّؤون العربيّة والصّراعات العربيّة العربيّة، باول لم يدرك أنّ التّخطيط يمتد إلى خمسين سنةً مُقبلة؛ لتحجيم القوّة الصّاعدة في العراق، ووأد العقل العربيّ وإعادته مئات السّنين إلى الوراء، إنّ الهدف الرّئيس ليس تنفيذ عقوبات الأمم المتحدة التي فُرضت على العراق، وإنّما إزالة القوّة العسكريّة من العراق حمايةً لإسرائيل وللنّفط معاً، وتكلفة الحرب سيدفعها العرب، يقول فكس: "وماغي هي الوحيدة التي تعرف قدسيّة هذه الحرب، باركها يا أبي"[69].

الخاتمة:

لقد حاولت هذه الدّراسة أن تعيد دراسة جدليّة العلاقة بين الشّرق والغرب من خلال رواية "رسمتُ خطّاً في الرّمال" للرّوائي هاني الرّاهب، في ضوء أهم التّغيّرات التي أحدثها ظهور النّفط في دول الخليج العربيّ، وتبيّن لنا أنّ الرّاهب قدّم أطروحته بشكلٍ تقريريٍّ مباشر؛ جَلَدَ الذّات العربية بماسوشيّةٍ صارخةٍ، وأدانَ، إلى حدٍّ كبيرٍ، الغرب بسخريةٍ مرّةٍ، وتبيّن لنا أنّ توسّل الرّوائيّ بالبناء المتداخل والمزج بين القديم والمعاصر لتقديم أطروحته لم يحُل بينه وتقديم الخطاب المباشر، كما أنّ تداخل الأجناس والمزج بين المقامات وألف ليلة وليلة، والاتكاء على مقولات تراثيّة أضاءت الرّؤيا لديه دون أن تخلّص النّصّ من المباشرة في تقديم المعنى، ولكنّ هذا العمل الرّوائيّ يظلّ يمتلك خصوصيته في سياق التّصوير الفنّيّ، ويشكّل إضافةً في سلسلةٍ تجاوزت مائتي رواية جعلت إشكاليتي اللقاء الحضاريّ وأثر النّفط مطْلبين رئيسين لها.

وبعد، فإنّ الباحثين لا يقرّان الكاتب في مبالغته الواضحة في إدانة الواقع العربيّ ونقده، وتقديم المجتمعات العربيّة بصورةٍ سوداويّةٍ، بل يريان أنّ الإنسان العربيّ استطاع أن يقدّمَ إنجازاتٍ علميةً متنوّعةً خدمةً لمجتمعه، دون أن يتبنّى القيم الغربيّة التي تصطدم مع ثوابته الدينيّة، وقيمه، وتقاليده.

الهوامش

(1) يقطين، سعيد: الرِّواية والتّراث السَّرديّ " من أجل وعي جديد بالتّراث"، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2006م، ص184.

(2) من أبرز الأمثلة على الدّراسات التي عالجت اللقاء الحضاريّ: الباردي، محمد: "جدليّة الشَّرق والغرب في الرواية العربيَّة المعاصرة"، مجلة الفكر التّونسيّة، ع3، 1983م، وبو علي، عبد الرحمن: "من تأنيث الغرب إلى تأنيث العالم العربيّ"، جريدة أنوال المغربيّة: 1984/3/29م، وحرب، طلال: "البطل الرّوائيّ الشّرقي والغرب"، مجلة الآداب، ع9، سبتمبر 1980م، والخطيب، محمد كامل: المغامرة المعقّدة، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1976م، وخوري، إلياس: تجربة البحث عن أفق، مقدّمة لدراسة الرّواية العربيّة بعد الهزيمة، منظّمة التّحرير، مركز الأبحاث، 1974م، وصالح، صلاح: سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السَّرديّة، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2003م، صالح، فخري: "الرِّواية العربيّة والإفريقيّة: الالتقاء بالغرب ... واكتشاف الهوية الثقافيّة"، مجلة الكاتب العربي، دمشق، ع6، 1983م، وصبحي، محيي الدّين: عوالم من التّخييل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1974م، وطرابيشي، جورج: شرق وغرب: رجولة وأنوثة، دار الطّليعة، بيروت، 1977م، والعاني، شجاع مسلم: الرِّواية العربيّة والحضارة الأوروبيَّة، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1979م, Shawabkeh, Mohammed Ali ,*Arabs and the West: A Study in Modern Arabic Novel*, ***The National Press, Amman, 1992***

(3) تيمور، محمود: شمروخ، دار الهلال، القاهرة، (د. ط)، 1958م.

(4) الرّاهب، هاني: رسمتُ خطّاً في الرِّمال، دار الكنوز الأدبيَّة، دمشق، ط1، 1999م، قبل رحيل الرّاهب بسنة.

(5) فضل، صلاح: التَّجريب في الإبداع الرِّوائيّ، ضمن الرواية العربية" مُمكّنات السَّرد" لمجموعة كتّاب، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008م،ص111.

(6) انظر، مزيد، بهاء الدين محمد: زمن الرِّواية العربيَّة: مقدِّمات وإشكاليّات وتطبيقات، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2001م: ص75 وما بعدها.

(7) انظر، مغربي، فاروق، ودنده، ديالا: من مكوّنات الخطاب الرِّوائيّ في رواية "رسمتُ خطّاً في الرِّمال" للرِّوائيّ هاني الرّاهب: الرّاوي، والمرويّ، والمرويّ له، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدِّراسات العلميَّة، مج36، ع3، 2014م، ص325.

(8) الخطيب، حسام الدّين: روايات تحت المجهر، دراسة نهوض الرِّواية في سورية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1983م، ص158.

(9) انظر، الرّاهب، هاني: رسمتُ خطّاً في الرِّمال، ص285.

(10) المصدر نفسه، ص70.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 11

(11) انظر، إلياس خوري: الذّاكرة المفقودة، بيروت، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، ط1، 1982م، ص61-62.

(12) أدونيس: الثّابت والمتحوّل، صدمة الحداثة، بيروت، دار العودة، ط4، 1983م، 221/3.

(13) استخدم المفكّر الجزائريّ مالك بن نبي مصطلحي البناء والتّكديس في سياق حديثه عن بناء مجتمعٍ عربيٍّ مُتحضّر، في محاضرات ألقاها في لبنان جُمعت تحت عنوان "حديث في البناء الجديد"، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصريّة (د.ت)، ص83 وما بعدها.

(14) الرّاهب، هاني: رسمتُ خطّاً في الرّمال، ص43.

(15) المصدر نفسه، ص46.

(16) انظر، المصدر نفسه، ص46.

(17) المصدر نفسه، ص130.

(18) المصدر نفسه، ص12.

(19) حجّار، وليد: السّقوط إلى أعلى، (د. ط)، 1973م، ص33.

(20) انظر، هلال، محمد غنيمي: النّقد الأدبيّ الحديث، دار العودة، بيروت، ط1، 1982م، ص331؛ وفضل، صلاح: منهج الواقعيّة في الإبداع الأدبيّ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1986م، ص61.

(21) الرّاهب، هاني: رسمتُ خطّاً في الرّمال، ص15.

(22) انظر، المصدر نفسه، ص168.

(23) المصدر نفسه، ص259.

(24) عدنان، عبد الله خالد، النّقد التّطبيقيّ التّحليليّ، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط1، 1986م، ص111.

(25) انظر، الرّاهب، هاني: رسمتُ خطّاً في الرّمال، ص156- 177.

(26) المصدر نفسه، ص168- 169.

(27) انظر، المصدر نفسه، ص98-99.

(28) المصدر نفسه، ص262.

(29) المصدر نفسه، ص11.

(30) النّصير، ياسين: إشكاليّة المكان في النّصّ الأدبيّ، دار الشّؤون الثّقافيّة العامة " آفاق عربية"، بغداد، ط1، 1986، 97.

(31) انظر، المصدر نفسه: 97-98، والشّوابكة، محمد علي: ثنائيات في السّرد، دراسات في المبنى الحكائيّ العربيّ، وزارة الثقافة، عمان، 2012م، ص105-106.

(32) المصدر نفسه، ص67.

(33) المصدر نفسه، ص132.

(34) انظر، المصدر نفسه، ص 158- 159.

(35) المصدر نفسه، ص5.

(36) انظر، المصدر نفسه، ص19.

(37) المصدر نفسه، ص74.

(38) المصدر نفسه، ص118.

(39) المصدر نفسه، ص119-120.

(40) انظر، المصدر نفسه، ص123.

(41) المصدر نفسه، ص258.

(42) المصدر نفسه، ص126.

(43) انظر، المصدر نفسه، ص128.

(44) انظر، المصدر نفسه، ص13.

(45) انظر، المصدر نفسه، ص14-15.

(46) المصدر نفسه، ص15.

(47) انظر، المصدر نفسه، ص104.

(48) انظر، المصدر نفسه، ص105.

(49) المصدر نفسه، ص30.

(50) انظر، المصدر نفسه، ص31.

(51) المصدر نفسه، ص31.

(52) انظر، المصدر نفسه، ص32.

(53) المصدر نفسه، ص33.

(54) المصدر نفسه، ص36.

(55) انظر، سليمان، نبيل: مقالة بعنوان: "من الحجّاج بن يوسف إلى صدّام حسين: موسم روائيّ للديكتاتور"، **akhbarelyom@akhbarelyom.org**

(56) الرّاهب، هاني: رسمتُ خطّاً في الرِّمال، ص18.

(57) المصدر نفسه، ص49.

(58) انظر، المصدر نفسه، ص180-181.

(59) المصدر نفسه، ص179-180.

(60) المصدر نفسه، ص179.

(61) انظر، سليمان، نبيل: مقالة بعنوان: "من الحجّاج بن يوسف إلى صدّام حسين: موسم روائيّ للديكتاتور"، ص1، **akhbarelyom@akhbarelyom.org**

(62) الرّاهب، هاني: رسمتُ خطّاً في الرّمال، ص178.

(63) انظر، المصدر نفسه، ص193.

(64) انظر، المصدر نفسه، ص188.

(65) المصدر نفسه، ص188.

(66) المصدر نفسه، ص183.

(67) انظر، المصدر نفسه، ص156.

(68) المصدر نفسه، ص159-160.

(69) المصدر نفسه، ص185.

المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربيّة:

أدونيس: **الثّابت والمتحوّل**، صدمة الحداثة، بيروت، دار العودة، ط4، 1983م.

الباردي، محمد: "جدليّة الشّرق والغرب في الرّواية العربيّة المعاصرة"، **مجلة الفكر التّونسيّة**، ع3، 1983م.

بو علي، عبد الرحمن: "من تأنيث الغرب إلى تأنيث العالم العربيّ"، **جريدة أنوال المغربيّة**، 1984/3/29م.

تيمور، محمود: **شمروخ**، دار الهلال، القاهرة، 1958م.

حجّار، وليد: **السّقوط إلى أعلى**، (د.ط)، 1973م.

حرب، طلال: "البطل الروائي الشرقي والغرب"، **مجلة الآداب**، ع9، سبتمبر، 1980م.

خالد، عدنان عبد الله: **النّقد التّطبيقيّ التّحليليّ**، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.

الخطيب، حسام الدين: **روايات تحت المجهر**، دراسة نهوض الرِّواية في سورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983م.

الخطيب، محمد كامل: **المغامرة المعقّدة**، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1976م.

خوري، إلياس: **تجربة البحث عن أفق، مقدمة لدراسة الرِّوايّة العربيّة بعد الهزيمة**، منظمة التّحرير، مركز الأبحاث، 1974م.

خوري، إلياس: **الذّاكرة المفقودة**، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربيَّة، ط1، 1982م.

الرّاهب، هاني: **رسمتُ خطّاً في الرّمال**، دار الكنوز الأدبيّة، دمشق، ط1، 1999م.

الشّوابكة، محمد علي: **ثنائيات في السَّرد، دراسات في المبنى الحكائيّ العربيّ**، وزارة الثّقافة، عمّان، 2012م.

صالح، صلاح: **سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السّرديّة**، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، ط1، 2003م.

صالح، فخري: "الرّواية العربيّة والإفريقيّة: الالتقاء بالغرب ... واكتشاف الهوية الثقافية"، **مجلة الكاتب العربيّ**، دمشق، ع6، 1983م.

صبحي، محيي الدّين: **عوالم من التّخييل**، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، 1974م.

طرابيشي، جورج: **شرق وغرب: رجولة وأنوثة**، دار الطّليعة، بيروت، 1977م.

العاني، شجاع مسلم: **الرّواية العربيّة والحضارة الأوروبيّة**، وزارة الثّقافة والفنون، بغداد، 1979م.

عدنان، عبد الله خالد، **النّقد التّطبيقيّ التّحليليّ**، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط1، 1986م.

فضل، صلاح: **التَّجريب في الإبداع الرِّوائيّ، ضمن الرِّواية العربيّة "مُمكّنات السَّرد" لمجموعة كتّاب**، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008م.

فضل، صلاح: **منهج الواقعيّة في الإبداع الأدبيّ**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1986م.

مغربي، فاروق، ودنده، ديالا: من مُكوّنات الخطاب الرِّوائيّ في رواية "رسمتُ خطّاً في الرِّمال" للرِّوائيّ هاني الرّاهب: الرّاوي، والمرويّ، والمرويّ له، **مجلة جامعة تشرين للبحوث والدِّراسات العلميّة**، مج36، ع3، 2014م.

مزيد، بهاء الدين محمد: **زمن الرواية العربية: مُقدّمات وإشكاليّات وتطبيقات**، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2001م.

بن نبي، مالك: محاضرات ألقاها في لبنان جُمعت تحت عنوان "**حديث في البناء الجديد**"، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصريّة، (د.ط)، (د.ت).

النَّصير، ياسين: **إشكالية المكان في النَّصّ الأدبيّ**، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة "آفاق عربيّة"، بغداد، ط1، 1986م.

هلال، محمد غنيمي: **النّقد الأدبيّ الحديث**، دار العودة، بيروت، ط1، 1982م.

يقطين، سعيد: **الرِّواية والتّراث السَّرديّ "من أجل وعي جديد بالتّراث"**، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.

المراجع الأجنبية:

Shawabkeh, Mohammed Ali, *Arabs and the West: A Study in Modern Arabic Novel*, The National Press, Amman, 1992.

المقالات:

سليمان، نبيل: مقالة بعنوان: "**من الحجّاج بن يوسف إلى صدّام حسين: موسم روائيّ للديكتاتور**"، akhbarelyom@akhbarelyom.org